بَـكَـرْنَ ضَـرًّا وَبَـكَـرْتَ تَـنْـفَـعُ
وَسَـجْـسَـجٌ أَنْـتَ وَهُـنَّ زَعْـزَعُ(١)
وَوَاحِـدٌ أَنْـتَ وَهُـنَّ أَرْبَـعُ
وَأَنْـتَ نَـبْـعٌ وَالْـمُـلُـوكُ خِـرْوَعُ(٢)

أنت تخلق ما تأتي

قال وقد ظفر بسيف الدولة في هذه الغزوة:

[البسيط]

غَـيْـرِي بِـأَكْـثَـرِ هٰـذَا الـنَّـاسِ يَـنْـخَـدِعُ
إِنْ قَـاتَـلُـوا جَـبُـنُـوا أَوْ حَـدَّثُـوا شَـجُـعُـوا(٣)
أَهْـلُ الـحَـفِـيـظَـةِ إِلَّا أَنْ تُـجَـرِّبَـهُـمْ
وفـي الـتَّـجَـارِبِ بَـعْـدَ الـغَـيِّ مَـا يَـزَعُ(٤)

---

(١) السجسج: الرياح اللطيفة الربيعيّة. الزعزع، الرياح الشديدة المضرّة. يقيم الشاعر بين ممدوحه وبين الرياح العاتية مقارنة، إنها تبكّر مخرّبة الطبيعة ومؤذية البشر باشتدادها، بينما تبدو ريح الأمير لطيفة محيية تهب على الحياة لطيفة فلا تؤذي لرقتها، فلا هي حارّة مؤذية ولا هي باردة قارسة تُخيف وترعب.

(٢) يقيم الشاعر أيضاً بين الأمير والرياح الأربعة مقارنة، وهي الجنوب، والشمال، والصبا، والدبور. النبع: ضرب من الأشجار الصلبة التي تُتّخذ عيدانها قسياً. إن الأمير واحد يتفوّق على العنيف من تلك الرياح التي تحمل الأذى للبشر، وهو كالنبع الذي يُستفاد منه في سبيل الدفاع عن بلاد الإسلام، وبمقابل الأمير ملوك ضعفاء نبتهم من شجر ضعيف خوّار لا يُقاوم يتكسّر بيسر وسهولة.

(٣) ورد البيت في دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٩٢. يبدأ الشاعر قصيدته بأنه لا ينخدع بمعسول الكلام، فالحرب لا تكون بالكلام بل بالفعل؛ فالشجاع يقاتل ويكشف عن أصالة معدنه وشجاعته، أما الثرثارون فإنهم كثيرون يخوضون المعارك وينتصرون وهم بعد في بيوتهم ومنتدياتهم، فلو دعوا إلى الجهاد تكاسلوا وتفننوا بإيجاد الأعذار الواهية.

(٤) الحفيظة: الحميّة والأنفة. الغي: الجهل. يزع: يردع، يمنع. ينعى الشاعر على المدّعين الجبن؛ إنهم يُبدون حماساً وحميّة في أحاديثهم؛ والتجربة امتحان يكشف =

وَمَا الْحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَ مَا عَلِمَتْ
أَنَّ الْحَيَاةَ كَمَا لا تَشْتَهِي طَبَعُ[١]
لَيْسَ الْجَمَالُ لِوَجْهٍ صَحَّ مَارِنُهُ
أَنْفُ الْعَزِيزِ بِقَطْعِ الْعِزِّ يُجْتَدَعُ[٢]
أَأَطْرَحُ الْمَجْدَ عَنْ كِتْفِي وَأَطْلُبُهُ
وَأَتْرُكُ الْغَيْثَ فِي غِمْدِي وَأَنْتَجِعُ[٣]
وَالْمَشْرَفِيَّةُ لا زَالَتْ مُشَرَّفَةً
دَوَاءُ كُلِّ كَرِيمٍ أَوْ هِيَ الْوَجَعُ[٤]

= أصالتهم وصدق حديثهم، فإن كانوا صادقي القول والفعل فهم ليسوا جبناء ولا جهلة، وإلّا فهم كذلك؛ وهؤلاء يظهرون على حقيقتهم في الملمات والأحداث الجسام.

(١) الطبع: الدنس. يعبر الشاعر عن رفضه لأسلوب الحياة الإنسانية الممهورة بالذلّ والهوان، إنها حياة الجبناء، فالمرء لا يعيش إلّا مرَّة واحدة؛ فالعزّة حياة الثائرين على ضعفهم في سبيل حياة أفضل تخلو من الدنس وحبّ الحياة مهما كانت.

(٢) المارن: الأنف الليّن. اجتدع الأنف: قطعه. جمال الحياة باكتمال الجوارح، فمطلق قطع أي عضو في المرء تشويه جسديّ، والأنف عند العربي مصدر كبريائه وعزّته، ففي قطعه فقد لسلطانه على نفسه وسلب لعزّته، وفي حال تحطيمه لا معنى للحياة لديه.

(٣) الانتجاع: البحث عن مواقع المياه. الغيث: المطر. ثمّة رسالة خُلق الإنسان ليُحقّقها، ولتحقيق ذلك طريقان لا ثالث لهما، إما أن يكون طفيلياً على الحياة فيرتضع معها الذلّ والاستكانة والضعف، فعيش المرء وموته سيّان في حالة كهذه، وإما أن يمتشق سيفه ويحصد أسباب الضعف عن كاهله، وفي ذلك عِزّته ومنعته. وإلّا فليرحل عن هذه الحياة تاركاً المجال إلى غيره علّه يُوفّق في مسعاه.

(٤) المشرفية: السيوف. إنها نظرة حكيمة؛ فالسلاح قيمته باستعماله شأن كلّ شيء وُجد، فاستعماله يُسوّغ الغاية من وجوده، وإلّا فإنه داء عُضال؛ والسيف شرفه استعماله فيكون نعم السلاح، وإلّا فإنه نكبة ومرض لا بدّ من الخلاص منه؛ فالكريم يستعمله مهما تكن النتائج.

وَفَارِسُ الْخَيْلِ مَنْ خَفَّتْ فَوَقَّرَهَا
فِي الدَّرْبِ وَالدَّمُ فِي أَعْطَافِهَا دُفَعُ[١]
فَأَوْحَدَتْهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ قَلَقٌ
وأَغْضَبَتْهُ وَمَا فِي لَفْظِهِ قَذَعُ[٢]
بِالْجَيْشِ تَمْتَنِعُ السَّادَاتُ كُلُّهُمُ
وَالْجَيْشُ بَابْنِ أَبِي الهَيْجَاءِ يَمْتَنِعُ[٣]
قَادَ المَقَانِبَ أَقْصَى شُرْبِهَا نَهَلٌ
عَلَى الْشَّكِيمِ وَأَدْنَى سَيْرِهَا سِرَعُ[٤]
لَا يَعْتَقِي بَلَدٌ مَسْرَاهُ عَنْ بَلَدٍ
كَالْمَوْتِ لَيْسَ لَهُ رِيٌّ وَلَا شِبَعُ[٥]

---

(١) و (٢) ورد البيتان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٧ـ ١٠٨. خفّت: أسرعت منهزمة. وقر: ثبّت الروع. الدرب: المضيق المؤدّي إلى بلاد الروم. الأعطاف، الواحد عطف: الأجناب. أوحدته: تركته الخيل وحيداً. القذع: الفحش. يصف الشاعر سيف الدولة، وقد خاض غمار المعركة؛ إنه فارس الخيل، فإذا بمن معه يفرّقون وهو يعمل على ردّهم ليُقاتلوا معه صفاً واحداً ويثبتوا، ولكنهم تخلّوا عنه في مضيق ضيّق وموقف حرج، يتلفّت سيف الدولة في كلّ اتجاه فيجد نفسه وحيداً بين جند الأعداء، إنه سيف الدولة يتماسك ويخوض غمار معركة لا تكافؤ فيها، فلا يفرّ واثقاً من شجاعته ومقدرته، فلم يغضب ولم يتفوّه بهُجر ولم يُفحش ولم يتملّكه غضب.

(٣) إنه شأن الملوك، فهم لا يُقاتلون بأنفسهم، فسبب منعتهم جيوشهم، فبهم يُقاتلون وبهم ينتصرون، أما سيف الدولة فإنه ركن جيشه يتقدّم جنوده، فيه يُقاتلون وبه ينتصرون؛ وتلك قاعدة صحيحة مفادها أن القائد يجب أن يكون على رأس جيشه، به يتأسّوْن فيشعرون أنه يعرّض نفسه لما يتعرّضون وهذا ما يدفعهم إلى النضال.

(٤) و (٥) ورد البيتان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٨. المقانب، الواحد مقنب: الحديدة المعترضة في فم الحصان من اللجام. السرع: السرعة. لا يعتقي: لا يؤخره. يصف الشاعر ما كان عليه سيف الدولة وبعض من جنده. لقد تقدّم جنده بسرعة يقودهم دون استراحة وقد نهلت الجياد وهي ملجمة ولم تخلع عنها لجمها؛ =

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضِ خَرْشَنَةٍ
تَشْقَى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبِيَعُ[١]
لِلسبي مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا
وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَالنَّارِ مَا زَرَعُوا
مُخْلًى لَهُ الْمَرْجُ مَنْصُوباً بِصَارِخَةٍ
لَهُ الْمَنَابِرُ مَشْهُوداً بِهَا الْجُمَعُ[٢]
يُطَعِّمُ الطَّيْرَ فِيهِمْ طُولُ أَكْلِهِمِ
حَتَّى تَكَادَ عَلَى أَحْيَائِهِمْ تَقَعُ[٣]
وَلَوْ رَآهُ حَوَارِيُّوهُمُ لَبَنَوْا
عَلَى مَحَبَّتِهِ الشَّرْعَ الَّذِي شَرَعُوا[٤]

= ولقد كان على عجلة من أمره، جادًّا في ما عزم عليه، فلا يتوانى في لقاء عدوّه لا يُؤخره بعد ما بين بلد وبلد آخر، كأنه الموت فلا يترك أحداً يأخذ حاجته من ري وشبع؛ إنه دائم القضاء على ضحاياه، وذلك شأن سيف الدولة، فهو دائم الانتقال من بلد إلى بلد آخر يفتحه من بلاد الأعداء.

(١) ورد البيت في معاهد التنصيص، للعباسي: ١: ٢٤٩. الأرباض، الواحد ربض؛ الضواحي. خرشنة: إحدى بلاد الروم. البيع، الواحدة بيعة: الأديار يصف الشاعر فعل سيف الدولة في بلاد الروم، إنه دائم الغزو لهم، ولقد وطئت أقدام فرسه أرض خرشنة، وهو يتوغّل حتى ويُمعن فيهم قتلاً وتشريداً ويحطّم صلبانهم ويهدم بيعهم ويفرّق شملهم.

(٢) المرج: موضع ببلاد الروم. صارخة: إحدى مدن الروم. وممّا يدخل العزاء إلى قلوب المسلمين أن سيف الدولة قد خلى له الجوّ في المرج، وقد أصبحت صارخة من بلاد الإسلام حيث تُقام صلوات الجمع على منابرها ويُؤذّن في جوامعها.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٨. ولكثرة قتلى الروم، على أيدي جيش سيف الدولة، فقد اعتادت جوارح الطيور نهش جثث قتلاهم، وها هي تلاحق الأحياء منهم تودّ تمزيقها بمخالبها وأظفارها.

(٤) الحواريون: أتباع سيدنا عيسى عليه السلام. الحواريون صفوة المختارين من أصحاب سيدنا عيسى، فلو عرفوا سيف الدولة وعدله واتصافه وشهامته لاجتمعوا على محبّته وأوجبوا طاعته، واتّخذوا شرعه الذي شرعه منهاجاً في حياة النصارى.

لَامَ الـدُّمُـسْـتُـقُ عَـيْـنَـيْـهِ وَقَـدْ طَـلَـعَـتْ
سُـودُ الْـغَـمَـام فَـظَـنُّـوا أَنَّـهَـا قَـزَعُ[١]
فـيـهَـا الْـكُـمَـاةُ الَّـتـي مَـفْـطُـومُـهَـا رَجُـلٌ
عَـلَـى الْـجِـيَـادِ الَّـتـي حَـوْلِـيُّـهَـا جَـذَعُ[٢]
يَـذْرِي الـلُّـقَـانُ غُـبَـاراً فـي مَـنَـاخِـرِهَـا
وفـي حَـنَـاجِـرِهَـا مِـنْ آلِـسٍ جُـرَعُ[٣]
كَـأَنَّـهَـا تَـتَـلَـقَّـاهُـمْ لِـتَـسْـلُـكَـهُـمْ
فَـالـطَّـعْـنُ يَـفْـتَـحُ فـي الأَجْـوَافِ مَـا يَـسَـعُ[٤]
تَـهْـدِي نَـوَاظِـرَهَـا وَالْـحَـرْبُ مُـظْـلِـمَـةٌ
مِـنَ الأَسِـنَّـةِ نـارٌ وَالْـقَـنَـا شَـمَـعُ[٥]

---

(١) و (٢) ورد البيتان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٨. يروى «ذمّ» بدلاً من «لام». الدمستق: قائد جيش الروم. القزع، الواحدة قزعة: السحاب المنتشر. الكماة، الواحد كميّ: البطل الكاسي السلاح. الحولي: الذي بلغ السنة من عمره. الجذع: الذي بلغ سنتين. للوهلة الأولى نظر الدمستق إلى طلائع جيش سيف الدولة فظنّها شراذم فسرّ لذلك، ثم نظر إلى الأفق البعيد فإذا سحابة سوداء عظيمة غطّت الأرض، فلام نفسه على سوء تقديره للعواقب، إنه جيش عظيم يقوده بطل وحوله كماة يتسلّحون أفضل تسليح أبطال متمرّسون في الحروب على جيادٍ فتيّة تنهب الأرض نهباً بسرعة عظيمة، والفتيان في هذا الجيش أشداء رغم حداثتهم.

(٣) اللقان: اسم موضع. آلس: نهر بعيد عن ذلك الموضع. يصف الشاعر شدّة انطلاق الخيول ومواصلتها السير، فبسرعة عظيمة وردت مياه آلس، فإذا بها تبلغ اللقان قبل ابتلاعها المياه التي شربتها، وقد شمّت بمناخرها رائحة تراب ذلك الموضع رغم بعد الشقة بين المكانين.

(٤) و (٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٨. ومن مبالغات المتنبي أن خيول سيف الدولة تخترق جموع الروم وذلك بلقائهم برماح تسلكهم بشدّة طعن جنوده بحيث يُبيح لهم دفع خيولهم في أجوافهم محدثة جراحات عظيمة تسع خيولهم، فلو أن الظلمة غطّت ساحة المعركة لارتفاع الغبار في السماء كانت الرماح بمثابة شموع تتفجر ناراً حارقة تضيء جوّ المعركة.

دُونَ الـسَّـهَـامِ وَدُونَ الْـقُـرِّ طَـافِـحَـةً
عَـلَـى نُـفُـوسِـهِـمِ الـمُـقْـوَرَّةُ الـمُـزُعُ[١]
إِذَا دَعَـا الْـعِـلْـجُ عِـلْـجاً حَـالَ بَـيْـنَـهُـمَـا
أَظْـمَـى تُـفَـارِقُ مِـنْـهُ أُخْـتَـهَـا الـضِّـلَـعُ[٢]
أَجَـلُّ مِـنْ وَلَـدِ الْـفُـقَّـاسِ مُـنْـكَـتِـفٌ
إِذْ فَـاتَـهُـنَّ وَأَمْـضَـى مِـنْـهُ مُـنْـصَـرِعُ[٣]
وَمَـا نَـجَـا مِـنْ شِـفَـارِ الْـبِـيـضِ مُـنْـفَـلِـتٌ
نَـجَـا وَمِـنْـهُـنَّ فِـي أَحْـشَـائِـهِ فَـزَعُ[٤]
يُـبَـاشِـرُ الأَمْـنَ دَهْـراً وَهْـوَ مُـخْـتَـبَـلٌ
وَيَـشْـرَبُ الْـخَـمْـرَ حَـوْلاً وَهْـوَ مُـمْـتَـقَـعُ[٥]

---

(١) السَّهام، بفتح السين: حرّ الصيف الشديد. القُرّ: بضم القاف: البرد الشديد. المقورّة: يقصد الخيول الضامرة. المزع: المسرعة. يحدّد الشاعر الأجواء التي كان سيف الدولة ينتهزها للإغارة على بلاد الروم، إنه وقت اعتدال الجوّ في الربيع والخريف لقساوة أجواء بلاد الروم، فشتاؤها قارس وصيفها حارّ، ففي جوّ كهذا تفاجئ خيول سيف الدولة الضامرة السريعة فتطأ بلادهم وتدوس نفوسهم.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٨. العلج: الواحد من كفار العجم. الأظمى: الرمح المتعطّش لدماء الروم. يصوّر الشاعر سرعة طعن الأعلاج من الروم، فإذا استنجد أحدهم بآخر منهم سارع إليه رمح ظامئ إلى دمائه فيحول دون مساعدة أخيه له فيفرق بين الضلعين ممّا يجعله يُفرّق بين العلجين.

(٣) الفقّاس: جدّ الدمستق. المنكتف: المربّط كتفيه. يُندّد الشاعر بالدمستق الذي ولّى هارباً تاركاً جنوده يلاقون مصائرهم، بين أسير قاتل حتى كلّت يداه فوقع أسيراً متهالكاً وبين بطل صمم على القتال حتى الرمق الأخير فقتل لشجاعته.

(٤) و (٥) شفار البيض، الشفار واحدة شفرة والبيض الواحد أبيض: السيوف: حدّ السيف. يُكمل الشاعر حديثه عن نتائج تلك المعركة، فما من ناج إلّا امتلأ قلبه رعباً وهو لا يصدّق أنه من الناجين، وقد سيطر خوف يجعله يتحسّس نفسه بيديه، وفي أعماقه إحساس بأن الموت يُلاحقه ولا سبيل له من الخلاص من هذا الإحساس إلّا =

كَـمْ مِـنْ حُـشَـاشَـةِ بِـطْـرِيـقٍ تَـضَـمَّـنَـهَـا
لِـلـبَـاتِـرَاتِ أَمِـيـنٌ مَـا لَـهُ وَرَعُ[١]
يُـقَـاتِـلُ الْـخَـطْـو عَـنْـهُ حِـيـنَ يَـطْـلُـبُـهُ
وَيَـطْـرُدُ الـنَّـوْمَ عَـنْـهُ حِـيـنَ يَـضْـطَـجِـعُ[٢]
تَـغْـدُو الـمَـنَـايَـا فَـلا تَـنْـفَـكُّ وَاقِـفَـةً
حَـتَّـى يَـقُـولَ لَـهَـا عُـودِي فَـتَـنْـدَفِـعُ[٣]
قُـلْ لِـلـدُّمُـسْـتُـقِ إنَّ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ لَـكُـمْ
خَـانُـوا الأمِـيـرَ فَـجَـازَاهُـمْ بِـمَـا صَـنَـعُـوا[٤]
وَجَـدْتُـمُـوهُـمْ نِـيَـامـاً فـي دِمَـائِـكُـمُ
كَـأَنَّ قَـتْـلَاكُـمُ إيَّـاهُـمُ فَـجَـعُـوا[٥]

= بشرب الخمرة لينسى، فيبدو في حالة من الجنون والمرض، فصفرة الوجه تلازمه ولا تُفارقه أبداً لسنة كاملة.

(١) و (٢) الحُشاشة: بقيّة الروح. البطريق: القائد الرومي، تضمّنها: كفلها. الباترات: السيوف القاطعة. الورع: الابتعاد عن المحارم. الأمين: من لا يرتدع عن الإيغال في المحرمات ويقصد بذلك القيد. إنه المصير المحتّم فالبطارقة المأسورون لا بدّ لهم من مصير أسود إنهم رهن الموت، فإن من الواجب عدم الإبقاء على حياتهم في أيدٍ أمينة، فلا بدّ أن يكونوا ضحايا السيوف، فدماؤهم ليست محرّمة على سيوف جند سيف الدولة، فلو حاول ذلك الأسير النوم ما استطاع ولو حاول الفرار ما استطاع أيضاً؛ إنه مقيّد بالسلاسل.

(٣) المنايا، الواحدة منيَّة: الموت. إن قرار الحرب وقتل الأسرى بيد سيف الدولة، فهو يأمر إن أراد فيشملهم دمارها ويُعاود الكرّة مرة بعد مرَّة، وإن أحبّ أن يركن إلى السلم كفّ جنوده عن إهلاك أعدائه.

(٤) و (٥) المسلمين، بفتح اللام: يقصد من أسلمهم سيف الدولة لعدوّهم لتخاذلهم. يُخاطب الشاعر من ينقل الرسالة إلى الدمستق. ومفادها أن سيف الدولة بعدما انتصر على جيش الروم انسحب بجيشه بعدما أمعن فيهم قتلاً وأسراً وترك جماعة من جيشه لينهوا المهمة بقتل من بقي من الأسرى، فلم يُطيعوه وتخاذلوا عن إتمام تلك المهمة، فإذا بجيش الروم يرتدّ إلى ساحة المعركة ويُفاجئ من بقي في ساحة المعركة، فإذا =

ضَعفَى تَعِفُّ الأيادِي عَنْ مِثالِهِمِ
مِنَ الأعادِيَ وَإنْ هَمُّوا بِهِمْ نَزَعُوا[١]
لا تَحْسَبُوا مَنْ أَسَرْتُمْ كَانَ ذَا رَمَقٍ
فَلَيْس يَأْكُلُ إلَّا المَيْتَةَ الضَّبُعُ[٢]
هَلَّا عَلَى عَقَبِ الْوَادِي وَقَدْ طَلَعَتْ
أُسْدٌ تَمُرُّ فُرَادَى لَيْسَ تَجْتَمِعُ[٣]
تَشُقُّكُمْ بِفَتاهَا كُلُّ سَلْهَبَةٍ
وَالضَّرْبُ يَأْخُذُ مِنْكُمْ فَوْقَ ما يَدَعُ[٤]
وَإنَّما عَرَّضَ اللَّهُ الجُنُودَ بِكُمْ
لِكَي يَكُونُوا بِلَا فَسْلٍ إذا رَجَعُوا[٥]

= بمن بقي يرتمون بين القتلى، فأمعن الدمستق تقتيلاً بمن وجده، والردّ أن سيف الدولة قد ترك هؤلاء مقابل قتلى الروم، ولو أنهم لم يستسلموا وقاتلوا واستشهدوا لكانوا مجالاً لفخر الأمير، ولاستحقوا الشهادة أبطالاً وشجعاناً.

(١) و (٢) ضعفى، الواحد ضعيف. نزعوا: أعرضوا. يُندّد المتنبي بمن تخاذلوا: إنهم جبناء متخاذلون، فإن أرادوا قتال عدوّهم ترفع عن مقاتلتهم لجبنهم وخسّتهم، لذا لا يحقّ للروم أن يفخروا بما فعلوا، فقد أجهزوا على أموات لا رمق فيهم، تماماً لقد فعلوا ما يفعل الضبع، فإنه لخسّته يقتل عشراً من الغنم ليفوز بواحدة ميتة. ورد البيت السابق في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٨.

(٣) هلّا: حرف تحضيض وتوبيخ. عقب، الواحدة عقبة. فرادى: آحاد. يسخر الشاعر ويُوبّخ الروم ويتحدّاهم أن يُقاتلوا أبطالاً حقيقيين وأسوداً يتبادرون إلى القتال أفراداً وجماعات واثقين بنصر مؤزّر لشجاعتهم وبسالتهم وقوّتهم.

(٤) السلهبة من الأفراس: الطويلة. يروى «بقناها» بدلاً من «بفتاها». يصف الشاعر ما سوف يفعله هؤلاء الفرسان الذين يمتطون من الخيول الطويل السلهب؛ فسيوفهم لا تتوقّف عن ضرب رؤوسهم ورماحهم لا تتوانى عن طعن فيهم، وهذا هو الأكثر ممّا يتركون من جموع الروم.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٨. الفسل: الجبان العاجز. يسخر الشاعر بنصر مزعوم، فاللّه عزّ وجلّ عرّض من قتل الروم لمصيرهم لجبنهم =

فَكُلُّ غَزْوٍ إِلَيْكُمْ بَعْدَ ذَا فَلَهُ
وَكُلُّ غازٍ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ التَّبَعُ(١)
تَمْشِي الْكِرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِم
وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تأْتِي وتَبْتَدِعُ(٢)
وهَلْ يَشِينُكَ وَقْتٌ كُنْتَ فَارِسَهُ
وَكَانَ غَيْرَكَ فِيهِ الْعَاجِزُ الضَّرَعُ(٣)
مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُهُ
فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ(٤)
لَمْ يُسْلِمِ الْكَرُّ في الأعْقَابِ مُهْجَتَهُ
إِنْ كَانَ أَسْلَمَها الأصْحَابُ وَالشِّيَعُ(٥)

= وعجزهم، وهم لا خير فيهم تخلّص منهم عسكر الأمير ليعود إلى الروم بجنود اختارهم وخبرهم، لا جبن فيهم ولا ضعف.

(١) يُحذّر الشاعر الروم أن الغزوات القادمة سوف تكون من نصيب سيف الدولة وجنوده الأبطال الميامين الشجعان الذين لا يرهبون الموت، وستكون له الغلبة، لأنه أمير الغزاة وسيدهم.

(٢) يروى «يمشي» بالياء بدلاً من «تمشي» بالتاء. يكثر المقلّدون في الحياة، وهم يسيرون في حياتهم مقتدين بمن سلف، أما سيف الدولة فإنه يبتدع ويخلق أنماطاً من فنون القتال والقيادة لم يُسبق إليها.

(٣) و (٤) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٨. شان: شوّه سمعته. الضرع: الضعيف. يُخاطب الشاعر سيف الدولة أن ما حصل لن يُؤثر عليه لأن الجبناء العاجزين هم سبب ما حصل لهم وهذا لن يضيره ولطالما كان فارس الميدان يصول ويجول ولا يرهبه العدوّ وسيبقى كذلك؛ فمن علا وسما في مراقي المجد فلن يستطيع أحد أن يُذلّه ويحطّ من قدره، لذا فلن يُؤثر عليه شيء.

(٥) يروى «لا» بدلاً من «لم». يسلم: يخذل. الكرّ: العودة إلى القتال. الأعقاب: أواخر الخيل. الشيع: الأتباع. يُنوّه الشاعر بشجاعة سيف الدولة، فقد رجع إلى الميدان بعدما انسحبت مؤخرة الجيش من أصحابه وأشياعه، فكرّ عليها الروم ونالوا منها ما نالوا، ولكن أنفة وشجاعة الأمير جعلته يكرّ عليهم بدوره ويدافع عن نفسه بنفسه دون الاعتماد على أمثال هؤلاء من الأتباع.

لَـيْـتَ الـمُـلـوكَ عَـلَـى الأَقْـدَارِ مُـعْـطِـيَـةٌ
فَـلَـمْ يـكُـنْ لِـدَنـيءٍ عِـنْـدَهَـا طَـمَـعُ[١]
رَضِـيـتَ مِـنْـهُـمْ بَـأَنْ زُرْتَ الْـوَغـى فَـرَأَوْا
وَأَنْ قَـرَعْـتَ حَـبِـيـكَ ٱلْـبِـيـضِ فَـاسْـتَـمَـعُـوا[٢]
لَـقَـدْ أَبَـاحَـكَ غِـشُّـا فـي مُـعَـامَـلَـةٍ
مَـنْ كُـنْـتَ مِـنْـهُ بِـغَـيْـرِ الـصِّـدْقِ تَـنْـتَـفِـعُ[٣]
الـدَّهْـرُ مُـعْـتَـذِرٌ وَالـسَّـيْـفُ مُـنْـتَـظِـرٌ
وَأَرْضُـهُـمْ لَـكَ مُـصْـطَـافٌ ومُـرْتَـبَـعُ[٤]
وَمَـا ٱلْـجِـبَـالُ لِـنَـصْـرَانٍ بِـحَـامِـيَـةٍ
وَلَـوْ تَـنَـصَّـرَ فـيـهَـا الْأَعْـصَـمُ الـصَّـدَعُ[٥]

---

(١) الدنيء: الخسيس. يغمز الشاعر من قناة الملوك الذين لا يُعطون الشعراء على أقدارهم ويخصونهم بأفضالهم لأنهم يُشيدون بهم ويُخلّدونهم في أشعارهم، والمال يذهب بذهابهم بينما يُخلّد الشعراء ممدوحيهم، ولو أنهم قدّروا كلّ شاعر حقّ قدره ما تجرّأ على جوائزهم خسيس.

(٢) و (٣) الوغى: الحرب. الحبيك، الواحدة حبيكة: البيضة من الحديد وتوضع على الرأس. يعاتب الشاعر الأمير أنه يقبل من الشعراء مديحهم ويُجيزهم من ماله، وبذلك يساوي الشاعر بغيره من الشعراء الذين يكذبون في مدحهم، لأنهم لا يُشاركون الأمير في حروبه خلاف المتنبي الذي يصحب الأمير ويُقاتل إلى جانبه فيلبس عدة السلاح، ويضع الخوذة على رأسه ويُقارع الأعداء، ويعيش تجربة البطولة التي يصفها بصدق لا زيف فيها ولا كذب.

(٤) المصطاف والمرتبع: المنزل في الصيف والشتاء. يُحاول الشاعر أن يُخفّف من شدّة وطء الهزيمة على سيف الدولة: فمن قُتل بتقصير منه وضعف، وسيف الأمير على موعد ليثأر وينتقم من الروم الذين يتوقّعون غزوه لأراضيهم فيشتفي غيظه، فأراضيهم في الحقيقة أرضه يحقّ له غزوها صيفاً وربيعاً.

(٥) النصران: النصارى. الأعصم: الوعل الذي في إحدى يديه بياض. الصدع: الفتي من الوعول. رغم وعورة تلك الجبال وشدّة ارتفاعها، فإنها لن تمنعهم وتحميهم من انتقام سيف الدولة ومن مصير محتوم، فلا بدّ من وصول جيش الأمير، حتى الوعول لو تنصّرت فإنها لن تكون بمنأى عن نِقمة الأمير.

وَمَـا حَـمِـدْتُـكَ فـي هَـوْلٍ ثَـبَـتَّ لَـهُ
حَـتَّـى بَـلَـوْتُـكَ والأَبْـطَـالُ تَـمْـتَـصِـعُ[١]
فَـقَـدْ يُـظَـنُّ شُـجَـاعـاً مَـنْ بِـهِ خَـرَقٌ
وَقَـدْ يُـظَـنُّ جَـبَـانـاً مَـنْ بِـهِ زَمَـعُ[٢]
إنَّ الـسِّـلَاحَ جَـمِـيـعُ الـنَّـاسِ تَـحْـمِـلُـه
وَلَـيْـسَ كُـلُّ ذَوَاتِ الـمِـخْـلَـبِ الـسَّـبُـعُ[٣]

قبحاً لوجهك يا زمان

توفي أبو شجاع فاتك بمصر سنة خمسين وثلاث مئة (٩٦١م) فقال يرثيه بعد خروجه منها:

[الكامل]

أَلْـحُـزْنُ يُـقْـلِـقُ وَالـتَّـجَـمُّـلُ يَـرْدَعُ
وَالـدَّمْـعُ بَـيْـنَـهُـمَـا عَـصِـيٌّ طَـيِّـعُ[٤]
يَـتَـنَـازَعَـانِ دُمُـوعَ عَـيْـنٍ مُـسَـهَّـدٍ
هٰـذَا يَـجِـيءُ بِـهَـا وَهٰـذَا يَـرْجِـعُ[٥]

---

(١) ورد البيت التالي في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٨. بلوتك: اختبرتك. تمتصع: تهرب. يُنوّه الشاعر بأنه مدح سيف الدولة بعدما اختبره، لذا فمدحه صادق لأنه يتمثل بنموذج حيّ بطل يلتقي الأبطال ويصرعهم إذا ما اشتدّ الهول؛ فمنهم من يلقى مصيره البئيس ومنهم من يفرّ جبناً.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٩. الخرق: الخفّة والطيش. الزمع: الخوف الشديد. للوهلة الأولى قد يحكم المرء على المتهوّر أنه شجاع، وهو ليس في الحقيقة كذلك، بل قد يكون جباناً، وهذا حكم في غير محلّه، بينما قد يُحكم على من ثار غضباً بأنه جبان وهو ليس في الحقيقة كذلك، بل قد يكون شجاعاً جلداً في القتال.

(٣) المخلب: للوحش من السباع والطيور. يُعقّب الشاعر على رأيه بأن كلّ من حمل سلاحاً لا يُعتبر بطلاً وشجاعاً، وكذلك فليس كلّ من كان ذا مخلب من وحوش الطيور والحيوانات قادراً على افتراس صيده وفرائسه.

(٤) و (٥) يعبر الشاعر عن شدّة تأثره لمهلك أبي شجاع فاتك، إنه قلق لما أصاب ذلك =